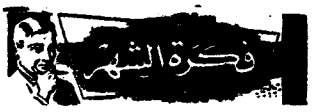

زواج الفنان

[مهداة الى اخي الدكتور سهيل ادريس بمناسبة اعتزامه الزواج]

•

الحب انواع ، حب الآباء والابناء والاخوة والاصدقاء ، وحب الانسانية ، والحب الجنسي .. والنوع الاخير هو الذي نطلق عليه لفظ « الحب » حين لا ننسبه الى الانواع الاخرى . وهو علاقة بشخص من الجنس الاخر فيها يتغلب الانسان على مجموعة من العقبات اولها من الشخص الآخر نفسه الذي نحاول الحصول عليه ، ثم من المجتمع الذي يضع العراقيل في وجه هذه العلاقة ما لم تصبح شرعية حسب قوانينه وتقاليده. اما اذا وصلنا إلى الطمأنينة التامة فقد خرجنا من دائرة الحب الى دائرة الالفة والصداقة .

ان الحب قلق مستمر وانتصار مستمر على هذا القلق ، فهو حصول ولا حصول في وقت واحد ، ولهذا فان عواطفنا تتضخم في الحب وهو تضخم ناتج عن انتصار كنا نخشى عدم الحصول عليه ، او خيبة امل لم نكن نتوقعها ؛ اما العواطف المصاحبة للطمأنينة وللحصول ولما نحن على يقين من حدوثه فهي عواطف هادئة لا تصل الى دقات القلب حين نرى الشخص الذي نحبه ، ولا الى اندفاع الدم الى الوجه حين يصدر عنه اوعنا ما يخجلنا.

والحب مرحلة في حياة اكثر الناس مرتبط بسن معينة ، هي مرحلة يعبرون بها من عالم الحرمان الى عالم الحصول ؛ وبحصولهم على العشيقة او الزوجة تنتهي هذه المرحلة او تنصرف هذه الطاقة الى الوان الحب الاخرى ، كحب الابناء مثلاً ، لتحل محلها علاقة اكثر هدوءاً بين الجنسين او الزوجين كالالفة او الصداقة ، وبذلك يكون الحب قد ادى دوره البيولوجي في حياة هؤلاء الاشخاص ، وهم الكثرة منا .

لكن هناك اخرين لا يستطيعون ان يعيشوا الا في مرحلة من الحب المستمر ، منقلبين من شخص الى شخص اخر ، وليس من الضروري ان ينتصروا في كل مرة كما هو الامر لدى الدون جوان ؛ انما المهم ان يعيشوا باستمرار في هذه الحالة من القلق العاطفي . ويصف علم النفس الحديث هؤلاء بأنهم مراهقون أبديون . ويقول الرومانتيون ان من هؤلاء يخرج الفنانون العظماء ؛ وليس في ذلك تناقض ففي سن المراهقة تتكشف الموهبة الفنية كما تتكشف بقية المواهب .

والفنان الرومانتي في حاجة دائمة الى ان يعيش في هذه المرحلة التي يتعذب بها ويستعذبها في آن واحد ، مرحلة الحصول الناقص ، مرحلة الاشباع الذي لا يصل الى غايته ، لانه في حاجة لان يعيش في هذا التوتر الذي تتضخم فيه عواطفه فيجد فيها منبعاً رائعاً لكتاباته العاطفية ؛ ولو أنه كان محروماً حرماناً تاماً لكان يأسه من الشدة بحيث لا يسمح له بأي تعبير على الاطلاق ، ولو انه حصل حصولاً تاماً لاطمأن وهدأت عواطفه ولم يجد ما يشعلها ولا ما يغذيها . ولكنه في حاجة الى ان يحب حتى الثمانين كما فعل جيته وهو يكتب «آلام فرتر» .

وربما استطعنا ان نجيب هنا على ذلك السؤال الذي طالما رددته الكثيرون ، وهو : هل للفنان ان يتزوج ؟ الواقع انه علينا ان نحدد نوع الفنان اولاً ، فاذا كان فناناً رومانتياً فعليه ان يمتنع عن الزواج ، ولكن الفن الرومانتي لم يعد له اليوم مكان . لقد كان نتاج عصر بدت فيه الدعوة الاقتصادية الى تنمية الكسب الحر والمنافسة الفردية ، فانصرف الفنان بدوره إلى نفسه وعالمه وفرديته يعبر عنها ، ووجد في الحب مجالاً واسعاً للتعبير عن ذلك . أما عالم اليوم — حيث تتزوي المشاكل العاطفية أمام زحمة المشاكل الاجتماعية والعالمية — فان زواج الفنان او عدم زواجه لا يؤثران كثيراً في انتاجه ، اذ هو ليس وثيق الصلة بعلاقاته العاطفية . وقد بين لنا علم النفس ان التسامي الذي يتحدث الكثيرون عنه لا يعني على الاطلاق ان تتحول الطاقة الجنسية كلها الى الفن مثلاً ، بل ان جزءاً ضئيلاً جداً من هذه الطاقة هو الذي يتحول . ولهذا فان الفنان بزواجه لن يخمد معيناً كبيراً كان عونه في انتاجه . ودليلنا على ذلك ان كثيرين من عظماء الفنانين كانوا متزوجين .

فاذا بدا لمعترض ان يقول ان المسألة ليست مسألة الطاقة الجنسية ، بل ان الفن في مجتمعنا الحالي هو لون من الوان الكفاح الذي قد يؤدي الى اضطهاد ، وان ما ينتج عن الزواج من ابناء ومسئوليات يصبح مصدراً للمجبنة فيحمل الفنان على العدول عن كثير مما ينبغي له التعبير عنه ؛ فان الرد على هذا الاعتراض سهل ميسور ، فهذه الحجة التي تبرر عدم الزواج اولى ان تنطبق على المكافحين الوطنيين المشتغلين بأمور السياسة ، ومع ذلك فنحن لم نقرأ في التاريخ ان عدم الزواج كان شرطاً من شروط السياسي في كفاحه ؛ ومن يريد ان يتلمس المعاذير للابتعاد عن الكفاح يجد له الف سبب وسبب في غير الابناء والزوجات .

فاذا بدا لمعترض آخر ان يقول بأن وجود الاطفال والمسئوليات لا يدع وقتاً للفنان يهبه لفنه ، اجبناه بأنه يكفي للرد على حجته ان نذكره بأن باخ أبا الموسيقى الغربية كان له عشرون ولداً ، سبعة من زوجته الاولى التي ما ان توفيت حتى تزوج من اخرى انجبت له ثلاثة عشر آخرين .

القاهرة

يوسف الشاروني